شخص واحد من ذوي الشأن في المناطق المحتلة يمكن وصفه بانه «متعاون» مع الاحتلال الاسرائيلي، بل ان الجميع يدينونه، بشكل او بآخر، ويبتعدون عنه. ولا شك ان نشوء مثل هذا الوضع الرافض للاحتلال، ومن ثم ضمان استمراره، مهم للغاية لمستقبل القضية الفلسطينية، من حيث انه يجعل من الصعب على الاسرائيليين تجاهل القضية الفلسطينية على المدى الطويل، او محاولة ايجاد حل لها يتجاهل اماني الفلسطينيين وحقوقهم. الا ان هذا الانجاز، بحد ذاته، يبقى في النهاية سلبيا وغير كاف على صعيد ايجاد حل للقضية الفلسطينية. كذلك لا يكفي ايضا، في هذا الصدد، تطويق المشاريع الاسرائيلية، دوليا وعربيا من جهة، وطرح مشاريع حلول عقلانية بديلة ومحاولة العمل على تنفيذها من جهة اخرى. بل ينبغي اضافة الى ذلك كله، وبموازاته، تطوير مقاومة مسلحة، حتى ولو كان سلاحها مسدسا بسيطا، تكون ناشطة وفعالة داخل الاراضي المحتلة، تعمل بدأب ونجاعة على التصدي للمخططات الاسرائيلية وعرقلة تنفيذها، وتمارس نشاطا يؤكد للصهيونيين ان الارض الفلسطينية غير قابلة للابتلاع. ولا شك انه بدون تضافر كافة تلك العوامل، مجتمعة، لن تكون هنالك حتى بداية لاسترجاع شيء من الحقوق الفلسطينية.

ان منظمات المقاومة الفلسطينية، كما هو معروف جيدا، لا تنفك تتحدث عن ضرورة «تصعيد النضال في الاراضي المحتلة». وقد لا تجد بيانا فلسطينيا واحدا يخلو من مثل هذه العبارات. غير ان ذلك كله ليس الا مجرد كلام، والواقع شيء آخر تماما. فالمنظمات الصغيرة توقفت، كما يبدو، منذ مدة غير قصيرة عن ممارسة اي نشاط داخل الارض المحتلة، وتكاد تكون عديمة الوجود هناك. بل ان ما لديها من قوى بشرية في الخارج لا تكفي متطلباتها المتضخمة والفارغة احيانا. اما المنظمة الكبيرة فانها تكاد «تدوخ» وتقع ارضا من جراء ترهلها وكثرة الشحم على جسمها. وبين حانا ومانا، ضاعت لحانا؛ وكاد نشاط المقاومة الفعال داخل الارض المحتلة يختفي. ولا شك ان مثل هذا الوضع بحاجة الى تصحيح، بعد «نفضه» من اساسه. وحتى لا نقع في عموميات «التنظير» وسلبياته، ونروح نتحدث على طريقة البيانات الفلسطينية، نرى انه من الافضل وضع بعض النقاط على الحروف، من خلال تقديم بعض الامثلة في هذا الصدد.

ان المقاومة الفلسطينية المسلحة داخل الاراضي المحتلة بحاجة الى اعادة بناء وتأسيس، بحيث تنبت لها «اسنان» تعض ومخالب «تخرمش» على الاقل، مما يمكنها من اداء مهامها بنجاعة وعقلانية من ناحية، وتقديم اقل مدى ممكن من التضحيات (وكذلك، وهذا هو الاكثر اهمية، من الشهداء) من ناحية اخرى. ويبدو ان مثل هذا العمل ليس بذلك المدى من الصعوبة الذي يصعب معه تحقيقه، بل ان هنالك العوامل المساعدة على ذلك. وهذا العمل، او «المشروع» ان شئتم، مثل اي عمل آخر بحاجة الى تخطيط مسبق، يقوم على اسس علمية سليمة. والتخطيط لمثل هذا العمل يقضي اولا، او هكذا نعتقد على الاقل، باقامة جهاز استخبارات متخصص بشؤون الصهيونية، على اختلاف تشعباتها، داخل الوطن المحتل وخارجه. ولا نقصد بذلك شيئا شبيها باجهزة الامن، القائمة على تجنيد المخبرين من اشباه المثقفين، والمنهمكة في تحديد تنقلات هذا او معرفة تصريحات ذاك، دون ان تتمكن في نهاية الامر من تحقيق اي «امن». بل ان ما نقصده، هو اقامة جهاز استخباراتي عصري «مثقف»، عناصره من المتخصصين في العلوم المختلفة، كالقانون والاقتصاد والسياسة والعلوم الطبيعية والكيماوية واللغات، واي موضوع ضروري آخر، بحيث يكون قادرا على جمع المعلومات الصحيحة وتنسيقها وتحليلها وتقديم النتائج المترتبة على ذلك. وباعتقادنا، ان اقامة مثل هذا الجهاز ليست عملية صعبة ابدا لو تم توخي اختيار العناصر المؤهلة